نورس للترجمة

يقدّم

شهادة مُعَدَّة من:

السيد جينيفر كافاريلا

الزميل في معهد الأمن القومي لدراسات الحرب ISW

"عشر سنوات من الحرب: دراسة الصراع المستمر في سورية"

15 نيسان 2021

أمام:

لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب

اللجنة الفرعية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومكافحة الإرهاب العالمي

ترجمةُ من الانكليزية: أ. ضرار الخضر

راجعه ودققه: عمار فرهود

المحتويات

ملخص تنفيذي

تكاد الحرب السورية سنة 2021 تختلف جذرياً عن الثورة التي بدأت قبلها بعشر سنوات. والتسوية بين نظام بشار الأسد وأعدائه لم تعد ممكنة على المدى المنظور، فالحرب الآن باتت شديدة التشابك مع القضايا الجيوبوليتيكية الممتدة الإقليمية والعالمية والتي لا يمكن أن تنتهي دون موافقة دولية. هذا التحول في الحرب السورية منذ سنة 2011 أوجد تهديدات جديدة على الأمن الأمريكي القومي وفاقم التهديدات التي ظهرت في سنوات الحرب الأولى.

ستستمر الحرب السورية حتى أمد غير معروف، فليس بوسع أي طرف يقاتل في سورية اليوم السيطرة على كامل البلاد وجميعهم يسعون لتحقيق أهداف لا تتوافق مع تقسيم دائم للبلاد، كما تعمل العديد من الأطراف على شن حرب عصابات خارج المناطق التي تسيطر عليها. لقد تباطأت العمليات البرية، لكن الهجمات المستقبلية تبقى ممكنة في إدلب، أما سيطرة الأسد الظاهرية على بعض المناطق فستؤدي الى مزيد من زعزعة الاستقرار نسبياً.

تتغافل الولايات المتحدة عن مركزيَّة سورية بالنسبة لطموحات روسيا، فتضع السياسة الأمريكية العمليات الروسية في سورية في إطار التحديات الروسية الأكبر للولايات المتحدة والنظام العالمي مما يخلِّف نقطة عمياء تعمل روسيا على استغلالها بنشاط. ويسمح التوسع والتأقلم الروسي في سورية لروسيا بفرض مزيد من الضغوط على عمليات الناتو في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وفي ذات الوقت تطوِّر روسيا الإمكانات التي تمكِّنُها من التوازن مع المزايا التي تتفوق فيها الولايات المتحدة والناتو. الجهود الروسية للمشاركة في العملية الدبلوماسية التي تقودها الولايات المتحدة في سورية تزيد من تآكل الآليات الدولية لتخفيف الصراع العالمي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

تواصل التنظيمات الإرهابية العابرة للدول انتشارها في سورية وتتطور تحت الضغط الأمريكي لمكافحة الإرهاب لفرض تهديدات جديدة وصعبة، وتعمل الدولة الإسلامية على إعادة شن حرب عصابات مستفيدة من الزخم العالمي لها ومن الفرصة السانحة لنزوح أعداد الكبيرة من الناس المستضعفين الذين نزحوا من سورية والعراق. هزيمة دولة الخلافة أضعفت التنظيم كثيراً لكنها لم تقضِ عليه تماماً. وتحاول هيئة تحرير الشام المنبثقة عن القاعدة كسب الاعتراف الدولي الذي يمكن أن يوصلها الى المكاسب ويضفي الشرعية على فرضها عقيدتها وعلى قتالها في سورية.

تستغل إيران الفراغ في سورية لتتمترس جماعاتها العابرة للحدود بطرق ستُذكي زعزعة الاستقرار الإقليمي بصورة دائمة ومخاطر اندلاع حرب كبيرة مع الكيان الصهيوني. الكيان الصهيوني يضعضع البنية الإيرانية العسكرية في سورية، لكن جهود إيران للتغلغل في المجتمع عبر التمدد الديني والثقافي والمالي يبقى دون رد فعل، وتعمل إيران على ترسيخ وجودها لتفادي آثار أي اتفاق مستقبل قد يقضي بخروج القوات الأجنبية من سورية، بما يترك النفوذ الإيراني المحلي في سورية على حاله.

أدى الالتزام الأمريكي المحدود في سورية الى نتائج غير متناسبة، بما في ذلك تقييد مجهود حرب الأسد ومنع الدولة الإسلامية من إعادة بناء نفسها بالكامل، لكن غير مقبول بمستويات القوة الحالية. يمكن أن تضطر الولايات المتحدة للانسحاب قسراً إن زادت الفئات المؤيدة للأسد من ضغطها العسكري عبر هجمات تتخذ شكل حرب العصابات، وهو احتمال تجهز نفسها له.

فِخَاخ استراتيجية متعددة تنتظر الولايات المتحدة مع إعادة تشكيل إدارة بايدن سياستها في سورية.

- قبول الأسد ورفع العقوبات عنه.
- دعم استقلال الأكراد السوريين.
- تسليم الأكراد السوريين لتركيا.
- التطبيع مع فرع القاعدة.
- تخيير روسيا إما أن تلعب دوراً بنَّاءً أو أن تفشل في سورية.

الفِخَاخ الروسية خطرة جداً بسبب نجاح روسيا في التضليل المتقدِّم الذي تروِّج له.

أنماط هذه الفخاخ تشمل الإرهاب القادم من خارج روسيا إليها، التوقع من روسيا لجم إيران أو التوصل الى تسوية دبلوماسية تنهي الحرب، أو توقع أن تتحول سورية الى "مستنقع" يُضعِف روسيا.

كل هذه الفخاخ التي تظهر على السطح كثيراً في المناقشات السياسية حول سورية، لا تقدِّم طرقاً نابضة بالحياة لتحقيق مصالح الولايات المتحدة في سورية. وبدلاً من ذلك ستؤدِّي الى احتدام الصراع وتآكل النفوذ العسكري والدبلوماسي الأمريكي وفي ذات الوقت تجرِّئ خصوم الولايات المتحدة وعلى رأسهم روسيا وإيران والجماعات السلفية الجهادية.

المبالغة في تقدير ما يمكن إنجازه في سورية ستؤدي على الأرجح الى فشل استراتيجي مثل انسحاب كامل.

يجب على الولايات المتحدة أن تسعى لتحقيق أهداف متواضعة بما يجعل تحقيق المصالح طويلة الأمد بما فيها التسوية الدبلوماسية على المدى الطويل قابلاً للتحقيق مع مرور الزمن. وفي السنوات الخمس القادمة، يجب على الولايات المتحدة أن تعمل على:

1- لجم روسيا وإيران والأسد في شرقي سورية.
2- حرمان الأسد من التطبيع مع الدول الأخرى ومن المكاسب الاقتصادية.
3- مساعدة قسد على بناء حكم مرن وله أجهزة أمنية ذات كفاءة في شرق سورية.
4- إعادة تنظيم العلاقة مع تركيا في سورية عبر دعمها في إدلب والضغط على قسد للإصلاح.
5- تخفيف الأزمة الإنسانية في إدلب والمناطق التي تسيطر عليها قسد، بما في ذلك مخيم الهول.
6- منع الدولة الإسلامية من إعادة بناء نفسها ومنع هجمات الدولة الإسلامية و/أو القاعدة على الغرب.

بدايةً يجب على الولايات المتحدة أن تتبع الخطوات التالية لتعزيز موقعها الاستراتيجي، ووضع الولايات المتحدة للتخفيف من أسوء السيناريوهات وزيادة المرونة المحلية وتمكين إجراءات المتابعة.

تعزيز النجاحات:

- تقييم القوة المطلوبة لبسط الاستقرار في الشرق السوري، وهزيمة حرب العصابات التي تشنها الدولة الإسلامية في المناطق التي تسيطر عليها قسد، ومساعدة قسد في ردع هجمات روسيا والأسد وإيران وتركيا ووكلائهم.
- الالتزام بمتابعة إيصال المعونات عبر الحدود حتى ولو استخدمت روسيا الفيتو لمنع عبور مساعدات الأمم المتحدة. والسعي لإبرام اتفاق ما بين الاتحاد الأوروبي وتركيا من أجل جهود مشتركة للمساعدات الإنسانية.

كبح جماح خصوم الولايات المتحدة

- تشديد العقوبات والحفاظ على موقف حازم من محاولات التطبيع السياسي أو تقديم دعم مالي جديد لنظام الأسد، بما في ذلك صندوق النقد الدولي، وتطبيق عقوبات إضافية حيث كان ذلك ممكناً بما في ذلك عقوبات ثانوية ضد أولئك الذين مازالوا يستثمرون في سورية.
- إحالة دراسة الى الكونجرس حول جرائم الحرب الروسية في سورية وأوكرانيا وغيرها من الأماكن حيث كان ذاك مناسباً بغية التصدي للتضليل الروسي وتعزيز القانون والأعراف الدولية ضد هذه التكتيكات.
- الالتزام بدعم تركيا دبلوماسياً واقتصادياً في إدلب في حال حصول هجوم مدعوم من روسيا في المستقبل لتقوية التعاون ومنع تصعيد خطير في الشمال السوري. ويجب بدء المحادثات مع تركيا لتحديد الدعم العسكري الذي قد تحتاجه.
- متابعة الضربات المنتقاة بعناية على قادة القاعدة والخلايا الهجومية، ونشر الأدلة على أوسع نطاق ممكن عن دور القاعدة الحالي والتاريخي بما في ذلك عناصر رئيسية فيما عدا التخطيط لشن هجمات: تجنيد المقاتلين الأجانب، واللوجستيات العابرة للحدود، والتمويل الدولي.

الاستعداد للمستقبل

- إطلاق مبادرة جديدة لبدء حوار سوري–سوري من خلال مؤتمرات ومبادرات مسار ثانٍ، وبمشاركة أكبر شريحة ممكنة من المجتمع السوري.
- تقييم متطلبات التمويل لتسريع بسط الاستقرار شرق سورية وتحديد المناطق ذات الأولوية، التي يجب أن تشمل الأشخاص المشرَّدين داخلياً في مخيم الهول. وعندما

تسمح الظروف الأمنية؛ إعادة العاملين في البرامج المدنية والدبلوماسيين الى المنطقة وإطلاق برامج جديدة لبسط الاستقرار بناءً على التقييم الجديد.

- حث قسد على إجراء إصلاحات في نموذجها الحكومي للوصول الى تمثيل حكومي أكبر للسكان العرب وإنشاء آليات محاسبة أفضل مما يزيد ثقة السكان بهذا النموذج الحكومي.

مقدِّمة

يكاد المراقب للحرب السورية اليوم أن ينكر أنها امتداد للثورة التي انطلقت قبل عشرة أعوام، إذ تشترك في الحرب قوات أجنبية منها الجيشان الروسي والتركي، وفيلق القدس الإيراني والحرس الثوري وما يجنِّده من أفغان، وباكستانيين، ولبنانيين، وعملاء عراقيين؛ وجهاديين أجانب؛ وقوات أمريكية تسيطر أو تفرض نفوذها على ساحة المعركة السورية. إحراز تسوية يمكن البناء عليها بين بشار الأسد وأعدائه لم يعد ممكناً على المدى المنظور، فقد أفسد الأسد كافة الجهود الدبلوماسية في الوقت الذي مزّق المعارضة أشتاتاً وزاد من تطرُّفِها وأجبر معظم حاضنتها الشعبية على الفرار. يبقى الحل الوسط بين السوريين ضرورياً لإنهاء الحرب، لكن الاتفاق بين الجهات الدولية شرط مسبق على الرغم من أنه غير ملموس على المدى القريب. الحرب السورية الآن متشابكة مع الجغرافية السياسية الإقليمية والدولية مما يمنع التسوية، فالحرب سائرة في طريقها، والسوريون هم ضحاياها.

كانت السنوات العشر الأولى من الحرب السورية قاسية. وزعزع نزوح اللاجئين السوريين من جراء عنف الأسد وداعميه استقرار الدول المجاورة لسورية، وأدى الى استقطاب أوروبا، والى نشوب صراع بين الولايات المتحدة وتركيا. وسيواصل الضغط الناتج عن أزمة

اللاجئين تدمير المنطقة وأوروبا طالما يُصِرُّ الأسد على التأكيد بأن لا خياراً حقيقياً لعودة هؤلاء اللاجئين. لقد مزَّقَت الحرب البلاد التي قدَّرت الأمم المتحدة أنها تحتاج الى نحو 250 مليار دولار لإعادة الإعمار، وزادت هذه التكلفة لاحقاً. انهيار سورية قدّم للجماعات السلفية الجهادية ملاذاً آمناً، مما أعطى روسيا الفرصة للإقدام على خطوة استراتيجية في الشرق الأوسط، ومكّن إيران من التوسع الإقليمي وتصعيد الصراع مع إسرائيل، وتقويض الأعراف الدولية بما فيها تلك التي تتعلق بأسلحة التدمير الشامل. فتأثير سورية يشمل العالم برُمَّتِه.

دخلت البلاد مرحلة جديدة مع بداية سنة 2021 من الحرب التي ربما تؤدي الى أسوء العواقب في السنوات التالية. فالمجتمع الدولي لم يفعل الكثير لتخفيف ضرر الحرب السورية أو لتحسين الظروف لجعل الحل ممكناً. بينما كانت الفئات الأكثر حزماً هي تلك التي تسعى لتدمير البلاد وشعبها لغاياتها: الأسد وروسيا وإيران.

لا نهاية على المدى المنظور للحرب السورية

انتظار الحرب السورية حتى تنتهي ليس خياراً مطروحاً، فالحرب على مسارها المحموم – مع تداعياتها المتراكمة على الصعيد العالمي– في المستقبل المنظور. ولا يمكن لجهة واحدة أن تسيطر وتهيمن على سورية بأكملها، فقد انقسمت البلاد الى ثلاث مناطق رئيسية؛ فاستولى الأسد على حصة كبيرة من غرب سورية ما بين عامي 2016–2018 بمساعدة روسيا وإيران لكنه عجز عن التقدم الى مناطق جديدة؛ وسيطرت تركيا على مناطق الشمال السوري على امتداد حدودها مع سورية، وهي تؤمِّن وتحكم هذه المناطق عبر قواتها

بالاستعانة بوكلاء سوريين؛ وأخيراً مكَّنَت القوات الأمريكية قسد من السيطرة على ما تبقى من سورية وهو ما يعادل ثُلُث مساحة البلاد تقريباً.

لن يتجمَّد الصراع السوري على الوضع الذي آل إليه، فمعظم الأطراف في سورية إما أنهم يسعون لتحديد مستقبل الدولة بأكمله أو يرونها جزءً من مشروع إقليمي أكبر، واحتفظ الأسد على نحو مدروس بموطئ قدم له في أنحاء البلاد الأربع كي يقلل من احتمالية التقسيم. وترى روسيا سورية من منظور مقاومة ما تدعي روسيا أنه جهود غربية لإسقاط النظام السوري أو تدمير سيادته وبالتالي لن تقبل التقسيم. أما إيران فترى سورية النقطة المحورية في جهودها لتشكيل هياكل أمنية وحكومية في المنطقة على غرار الثيوقراطية الإسلامية التي تحكمها. بينما تسعى الدولة الإسلامية والقاعدة وما شابههما لاستبدال النظام بدولة إسلامية على سورية بأكملها. ويرى الـ بي كي كي سورية كنموذج حالة لنظرته لكردستان المستقلة في الشرق الأوسط وجبهةً أماميةً له في حربه مع تركيا، وتسعى تركيا لفرض هيبتها الإقليمية بما في ذلك توسيع تواجد قواتها على الأرض لهزيمة البي كي كي في سورية. الأهداف الطموحة للأطراف الرئيسية في سورية تأتي معها بالحد الأعلى من المقاربات التي لا تتوافق مع التقسيم الدائم.

الجبهات السورية الحالية غير ثابتة وربما لا تتحول الى حدود، والعديد من الأطراف تشن حروب عصابات من المناطق التي تسيطر عليها الى مناطق أعدائهم الرئيسيين. فعناصر الـ بي كي كي المنتسبين الى قسد ضالعون على الأغلب في عدد كبير من الهجمات التي تتخذ شكل حرب العصابات لزعزعة استقرار المناطق التي انتزعتها تركيا من قسد ما بين عامي 2016–2019، أما الأسد وإيران وربما روسيا فمسؤولون عن شن هجمات بشكل حرب عصابات على قسد شرقي نهر الفرات، وطالت ضربات الدولة الإسلامية الخاطفة جميع المناطق السورية ما عدا الساحل. لقد تباطأت العمليات البرية لكن الهجمات في

المستقبل ما تزال ممكنة، وينوي الأسد السيطرة على إدلب مجدداً، وتواصل القوات التركية ووكلائها الهجمات منخفضة الوتيرة ضد قسد وقد تشن هجوماً جديداً.

سلطة الأسد في المناطق التي يسيطر عليها شكلية وستبقى غير مستقرة، وتهدد حرب العصابات والمظاهرات بزعزعة الاستقرار في المناطق التي يسيطر عليها النظام، وخصوصاً درعا التي بدأت فيها الثورة سنة 2011. القوات الروسية والإيرانية وعملائهما يعملون خارج نطاق سلطة الدولة ويعبِّئون القوات السورية التي لا تخضع كليَّاً لسيطرة النظام، ويواجه الأسد اضطرابات متصاعدة من السكان الموالين له بما في ذلك بين الدروز في محافظة السويداء وثمة مؤشرات عن تصاعد السخط في الساحل السوري. لا يمكن للأسد أن يسيطر ويتمسَّك بسورية بأكملها، وربما بدأ بالفعل خسارة بعض المناطق التي سيطر عليها مؤخَّراً، وليس لدى الغرب دوافع قوية لجعله يتنازل عن سورية التي دمَّرها ولن يتمكَّن من إنقاذها.

التهديدات الجديدة والمتفاقمة في سورية

تحوُّل الحرب في سورية عما كانت عليه سنة 2011 خلق تهديدات يمسُّ الأمن القومي الأمريكي ويُفاقِم التهديدات التي ظهرت في السنوات الأولى للحرب. وتتجاهل الولايات المتحدة مركزيةَ سورية بالنسبة للطموح الروسي العالمي، كما تعزل السياسة الأمريكية العمليات الروسية في سورية عن التحديات الروسية الأوسع للولايات المتحدة والنظام العالمي مما يوجِد نقطة ميتة تستغلها روسيا بنشاط. وفي ذات الوقت، ورغم ست سنوات من العمليات الامريكية المناهضة للإرهاب في سورية، تستمر التنظيمات الإرهابية العابرة للحدود بالانتشار في سورية وتتطور مُشكِّلَة مخاطر جديدة سيصبح من الصعوبة بمكان

معالجتها لاحقاً. كما تستغل إيران الفراغ في سورية لترسّخ وجودها بشكل قد يؤدِّي الى إذكاء زعزعة الاستقرار الإقليمي ومخاطر إشعال شرارة حرب كبرى مع إسرائيل في المستقبل.

الوضع الروسي في سورية يشكِّل تحدِّياً استراتيجياً كبيراً للولايات المتحدة والناتو

فروسيا تستخدم قواعدها الجوية والبحرية في محافظتي اللاذقية وطرطوس الساحليتين في سورية، على الترتيب؛ كنقطة انطلاق لبناء بنية تحتية عسكرية في البحر المتوسط وشمال أفريقيا مما قد يعطي روسيا عمقاً استراتيجياً لم تمتلكه منذ انهيار الاتحاد السوفياتي. الكتائب العسكرية الروسية الخاصة تعمل من سورية للسيطرة على قاعدة جوية في ليبيا وتحصِّنها كي يصبح وجودها فيها دائماً. كما تؤسس روسيا قاعدة بحرية في السودان مما يمكّنها من تغيير الغرض من قاعدتها في سورية كمنشأة لإمداد قواتها الى قاعدة بحرية متعددة الأغراض. وعلى المدى الطويل، تسعى روسيا الى توسعة منطقة مسؤولية أسطولها في البحر الأسود ليغطّي البحر المتوسط والبحر الأحمر وخليج عدن والخليج العربي وفي ذات الوقت تتوسع الى مدغشقر والساحل الغربي للهند. يقدِّم التوسُّع العسكري الروسي لروسيا تأثيراً أكبر على الناتو في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مما يضع روسيا في وضع تتمكن منه من ممارسة ضغط مثل تهديد حرية الملاحة البحرية عبر المضائق البحرية الرئيسية، وبتوسِّعِها المتواصل ربما تشكِّل روسيا تأثيراً أخطر.

كما تستخدم روسيا خبرتها القتالية في سورية لتُحدِث نقلة نوعية في إمكاناتها العسكرية بما يمكِّنُها من التفوق على المزايا العسكرية التي تتمتع بها الولايات المتحدة والناتو وبالتالي الوصول الى نوع من تكافؤ الفرص. وتعطي العقيدة القتالية الروسية الآخِذة في التطور الأولوية للعمليات المعلوماتية والعمليات العسكرية الفرعية لزيادة تأثيرها، في انعكاس

للإطار الأمريكي، لم تطور الولايات المتحدة ردّاً استراتيجياً له، كما تستخدم روسيا خبرتها في سورية لجسر الهوة في الإمكانات والتقنيات مع الولايات المتحدة والناتو بما في ذلك القيادة والسيطرة، والحرب التي تُشَنّ بشكل حملات، والحرب التي تُخاض بمساندة حلفاء، وفعالية الضربات الموجَّهة، والطائرات المُسيَّرَة بعيدة المدى، وإمكانيات التصدي للطائرات. وتستمر روسيا باستخدام سورية كحقل تجارب بالنيران لأنظمة تسليحها الجديدة وعقيدتها القتالية وستستخدم الدروس المستفادة في جهودها المتواصلة لتطوير قواتها وزيادة خبراتها.

الخبرة القتالية في سورية حسَّنَت بالفعل من قدرات القيادة الروسية وقوتها الجوية وكتائب القوات الخاصة، والقوات الخاصة (سبيسناز). حيث دعم فريق سبيستناز القوات الموالية للنظام في الجبهات القتالية باستخدام السلاح الثقيل والصواريخ الموجَّهة المضادة للدبابات، خلال حملة القوات الموالية للنظام سنة 2019 على منطقة إدلب، وتختلف الخبرة القتالية لهذا الفريق عن الخبرة التي اكتسبتها القوات الأمريكية الخاصة في سورية، فقد أجرت تدريبات ومساعدة للشركاء المحليين ولم تخض اشتباكات على جبهات القتال.

القوات الأمريكية في سورية تواجه بالفعل تهديداً روسيَّاً متحوّلِاً.

جعلت روسيا من الشرق السوري مُختَبَرَاً لنوع من بيئة العمليات التنافسية التي يجب على القوات الأمريكية الاستعداد لمواجهتها في المستقبل. تختبر روسيا عملياً وميدانياً أنظمة جديدة من الحرب الإلكترونية لتتداخل مع العمليات الأمريكية بما في ذلك تعطيل الطائرات الأمريكية وطائرات الاستطلاع الصغيرة والتشويش على الاتصالات الأمريكية. وصف الجنرال الأمريكي توماس الذي كان وقتها قائد قوات العمليات الخاصة في شهر نيسان سنة 2018 سوريةَ بأنّها "أشرس بيئة للحرب الالكترونية على الكوكب". ويشمل عتاد الحرب الالكترونية الروسية قدرات تضليل الجي بي إس الذي يدعي بعض المحللين

العسكريين الروس أنه ضلل بعض صواريخ كروز الأمريكية وتُسبِبُ بفقدان هذه الصواريخ لأهدافها خلال الضربات الأمريكية الصاروخية على مطار الشعيرات في سورية سنة 2017. ويمكن أن تُستَخدَم بعض أنظمة الحرب الالكترونية التي استخدمتها روسيا ضد جماعات المعارضة السورية ضد الولايات المتحدة وشركائها في المستقبل، بما في ذلك التشويش على الاتصالات الهاتفية والرسائل النصيَّة والتشويش على الاتصالات.

تستخدم روسيا عقيدتها القتالية الجدية لتشكيل ظروف اجتماعية وسياسية في الشرق السوري بحيث يصبح رافضاً للوجود الأمريكي. وتسعى روسيا الى إعادة تشكيل عملية صناعة القرار لدى الفئات المحلية لتصبح لصالح روسيا من خلال العمليات المعلوماتية المُعزَزَة بالعمليات الحركيَّة، وتهدد الجهود الروسية في شرقي سورية بتفتيت قسد؛ شريكة الولايات المتحدة، والتسبب في مقاومة للوجود الأمريكي أو إصدار قسد قراراً بالتخلي عن شراكتها مع الأمريكان. ترسم العمليات المعلوماتية الأولية صورةً للولايات المتحدة على أنها شريك لا يُطاق وتحرِض القبائل العربية على إثارة القلاقل ضد حكومة قسد، مستغِلَّة الفجوة بين القيادة الكردية الأساسية لقسد والسكان العرب المحليين.

كما تطبِّق روسيا نموذجها الناجح في القتال على القوات السورية الأصلية بغية تحقيق مصالح جيوسياسية جديدة. فصعَّدَت روسيا التجنيد وعبَّأت آلاف المقاتلين السوريين العملاء منتصف 2020. وكانت روسيا قد استخدمت هذه القوات من قبل الى جانب قواتها الخاصة في ليبيا، وناغورنو–كاراباخ وفنزويلا وستستخدم هذه القدرة على شن حملات في معارك أخرى. فإن لاقت النجاح سيقدِّم هذا المجهود لروسيا قوات رخيصة تزيد من مجال ومدى العمليات العسكرية التي يمكن لروسيا أن تشنها بمخاطر محدودة على الأفراد ودون ردود فعل محلية عنيفة عليها.

بقيت التهديدات الاستراتيجية والعملياتية الروسية في سورية للولايات المتحدة والناتو دون رد الى حد الآن. وفرضت الولايات المتحدة عقوبات على بعض المسؤولين الروس والشركات المُشارِكة في العنف ضد المدنيين في غرب سورية مما كبَّدهم بعض الخسائر في الأموال لكن هذه العقوبات لم تخفف من المخاطر الأوسع التي يشكِّلها التوسع والتأقلم الروسي المتواصل. في الشرق السوري تفتقر القوات الأمريكية الى الدعم المطلوب للرد على الضغط الروسي، بما في ذلك التفويض لمواجهة العمليات الروسية المعلوماتية بشكل أكثر فاعلية. كما تعمل الولايات المتحدة على توسيع القوة الاستراتيجية في الشرق الأوسط عبر إعادة نشر الأصول العسكرية خارج الخليج العربي لصالح روسيا والإشارة الى تخفيضات إضافية محتملة للقوات بعد ذلك. هذه التنازلات في إعادة التموضع تشكِّل فرصة لروسيا لتوسيع بنيتها التحتية ونفوذها في الشرق الأوسط وهو ما تسعى روسيا إليه جاهدة. ستفقد الولايات المتحدة فرصاً هامّة جداً لإعاقة اكتساب روسيا للنفوذ العالمي مجدداً إن أغفلت الولايات المتحدة اتخاذ موقف فعّال لمواجهة القوى الكبرى على مسرح الشرق الأوسط.

ويسعى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لتفكيك القواعد التي يقوم عليها النظام الدولي، هذه القواعد التي تجعل العالم آمناً للديمقراطية وتكبح جماح الجهات المُخَرِّبَة مثل روسيا. تصورات بوتين تشمل زوال القوة الأمريكية وإيجاد نظام عالمي متعدد الأقطاب تتمكن فيه روسيا كقوة عالمية فرض إرادتها على الآخرين. وتشكِّل الأمم المتحدة ساحة معركة رئيسية في حملة بوتين، إذ يشكِّل الفيتو الروسي في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة مصدراً رئيساً للقوة الروسية. ويعمل بوتين لتعزيز أهمية الأمم المتحدة وفي ذات الوقت يخرق القيود التي تفرضها، ويعيد تعريف المُنَظَّمَة لتتمكِّن روسيا من النهوض على حساب الولايات المتحدة والأعراف الدولية. وبالتناسق مع العقيدة العسكرية الروسية الجديدة (التي

تطرَّقنا إليها آنفاً)، تركِّز روسيا جهودها على إعادة تشكيل الفضاء المعلوماتي العالمي، باستخدام الأمم المتحدة لإضفاء الشرعية على العمليات الروسية في المسارح العديدة.

تتمتع سورية بأهمية مركزية في الجهود الروسية لإعادة تشكيل الآليات الدولية لصالح روسيا. الحل الدولي الضعيف لاتخاذ فعل في سورية يخلق الفرص لروسيا لتهديم حلول وآليات الأمم المتحدة التي تُلجِم الأسد وداعميه، وتخلق سوابق يمكن لروسيا تطبيقها على أماكن أخرى. ويتمثَّل النجاح الروسي الأكثر مدعاة للقلق بـ: تقويض التحقيق المشترك للأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية لتحديد الأطراف المسؤولة عن استخدام الأسلحة الكيميائية في سورية. وقادت فرنسا جهوداً فعّالة لتخفيف الضرر عبر تشكيل آلية تحقيق منفصلة عن منظمة حظر الأسلحة الكيميائية وتابعت التحقيق ونشرت النتائج التي توصَّلَت إليها فيما يتعلق بدور الأسد في الهجمات الكيميائية. ورغم هذا يقلل النجاح الروسي في استبعاد هذا التحقيق من الأمم المتحدة من أثر هذا التحقيق ويعزز الجهود الروسية لجعل استخدام الأسلحة الكيميائية أمراً اعتيادياً.

كما أضرَّت روسيا كثيراً بمقدرة الأمم المتحدة على إيصال المعونات الإنسانية للمدنيين في مناطق الحرب، وأجهضت جهود الأمم المتحدة في سورية جزئياً عبر استخدام إحداثيات الأمم المتحدة لتنفيذ ضربات بالصواريخ الموجَّهة على المشافي. كما تعمل روسيا على إنهاء الصلاحيات الممنوحة للأمم المتحدة لتجاوز نظام الأسد بإيصال المساعدات الإنسانية عبر الحدود الى سورية. وكانت روسيا قد استخدمت حق الفيتو لتقليص التفويض بإدخال المساعدات الإنسانية من أربع معابر حدودية الى معبر واحد ومن المحتمل أن تستخدم الفيتو ضد المعبر الأخير في شهر حزيران، مما يجبر الأمم المتحدة على التعامل الصريح مع الأسد. وتشير تصرفات الأسد حتى الآن الى أنه سيستخدم هذا لمحاولة تجويع المنطقة التي بقيت خارج سيطرته وتوجيه المعونات الإنسانية نحو الموالين له. وسيؤدّي

النجاح الروسي الى مزيد من التعاون مع المستبدِّين في مجال المساعدات الإنسانية في المستقبل.

المقاربة الأمريكية للدبلوماسية في سورية تفشل في أخذ النجاح الروسي في تشكيل الأمم المتحدة وبيئة المعلومات المحيطة بسورية بعين الاعتبار. لقد حيَّدَت روسيا قرار الأمم المتحدة رقم 2254 كآلية ممكنة لفرض تغييرات كبيرة في سلوك نظام الأسد. حيث يبيِّن القرار متطلبات وضع نهاية للحرب بما في ذلك وقف إطلاق النار ويضع مسودة لدستور سوري جديد تتبعه انتخابات تراقبها الأمم المتحدة. وتسعى روسيا لإعادة تعريف القرار 2254 لكسر العزلة المحيطة بنظام الأسد وحماية نظامه، وأجرت روسيا العديد من المحاولات للوصول لهذه النهاية، بما في ذلك اقتراح صندوق لإعادة الإعمار في مقابل إعادة توطين اللاجئين، ورغم فشل هذه الجهود إلا أنها أشترت الوقت لروسيا والأسد لتقوية موقفهم على الأرض وفي نفس الوقت ينزعون الشرعية عن العملية الدبلوماسية. وفي سنة 2021 تتقدم روسيا ثانيةً في محاولة منها لتنفيذ القرار 2254 خارج إطار الأمم المتحدة، وهذه المرة بدعم من تركيا وقطر بالإضافة الى بعض دول الخليج العربية.

النجاح الروسي يقوِّض حيوية الأمم المتحدة كآلية لفرض القانون الدولي وصون حقوق الإنسان من الانتهاكات مما يجعل الظروف الدبلوماسية أسوأ مما كانت عليه سنة 2015 عندما أصدرت الأمم المتحدة القرار 2254. وتبقى العملية الدبلوماسية السورية في مأزق مما يلائم الأسد وداعميه الذين يستقون الشرعية من الحجة التي تتذرع بها الجماعات السلفية الجهادية للتجنيد: ليس للسوريين خيار للعدالة سوى تدمير نظام الأسد بشكل كامل.

تبقى سورية ملاذاً آمناً للجماعات السلفية الجهادية الآخذة في التطور حتى توشك أن تشكِّل تهديدات جديدة.

ومن الصعوبة بمكان التأكد من حجم هذه القوى، لذا يجب التعامل مع الأرقام المتداولة بشيء من الشك. وتشير الدلائل الى حضور جهادي رئيسي في سورية يشكِّل تحدٍّ كبير لجهود مكافحة الإرهاب. وتشير تقديرات الأمم المتحدة سنة 2021 الى وجود نحو 30000 مقاتل جهادي في ميدان القتال في سورية. بمن فيهم قوة عسكرية للدولة الإسلامية وجماعات متعددة تابعة للقاعدة. وتعتقل قسد نحو 10000 مقاتل آخر في سجونها، ألفا مقاتل منهم من الأجانب الذين رفضت بلادهم إعادتهم إليها. وفي المُجمَل سورية هي البلد الثاني بعد أفغانستان في مجال حجم وتَنَوُّع الحركات الجهادية فيها.

غياب ضغوط مكافحة الإرهاب المتواصلة، قد تمكِّن الدولة الإسلامية من إعادة بناء نفسها ماديَّاً. وتبقى الدولة الإسلامية تنظيماً عالمياً منظَّمَاً وقادراً، ويركِّز على الانطلاق خارج العراق وسورية لاستعادة الزخم وتجديد هويته. وكان قد وسَّع عملياته باتجاه القارة الأفريقية، بما في ذلك إنشاء أقاليم جديدة أعطته زخماً وموارد من شأنها تغذية عودة الدولة الإسلامية الى سورية وأفغانستان، وفي سورية تعمل الدولة الإسلامية على إعادة تشكيل نفسها بشكل أسرع في المناطق التي يسيطر عليها نظام أسد وداعميه بما في ذلك صحراء حمص في وسط سورية، حيث تحتفظ الدولة الإسلامية بقاعدة صلبة تمكِّنُها من منع القوات المؤيِّدَة للنظام من عبور المنطقة والاستيلاء على البنية التحتية للطاقة فيها. كما تمكِّن قاعدة الدولة الإسلامية المؤمَّنَة التنظيم من توسيع نطاق عملياته الى مناطق أخرى في الأشهر القادمة.

كما تقدِّم أزمة النزوح الداخلي المتفاقمة في سورية والعراق للتنظيم أفضل الفرص، فبعد هزيمة دولة الخلافة مادياً سنة 2019، فشل التحالف المناهض للدولة الإسلامية في بدء إعادة الإعمار وبسط الاستقرار الضروري لعودة آمنة لعشرات آلاف السوريين والعراقيين ممن نزحوا داخلياً. ويقدِّم هذا الجرح الغائر لدى السكان فرصة ذهبية للدولة الإسلامية حتى تجنِّدهم. وفي سورية تجنِّد الدولة الإسلامية أعداداً إضافية ضمن السكان الذين نزحوا الى مخيم الهول، الذي يستضيف خمسين ألف طفل دون سن الثامنة عشر، وهؤلاء هم الفئة الأضعف. كما شنَّت الدولة الإسلامية حملة اغتيالات كبيرة ضمن المخيم أواخر سنة 2020، وبشكل مماثل تجنِّد الدولة الإسلامية البعض في مخيم الربقان قرب الحدود مع الأردن الذي يقطنه 30000 من النازحين نزوحاً داخلياً. وبدأت عودة قسرية لهؤلاء السكان أواخر سنة 2019 مما فاقم المشكلة، فإعادة الناس الى منازل مُدمَّرة والى مجتمعات تعاديهم يجعلهم مستضعفين أكثر مما كانوا عليه زمان الدولة الإسلامية، وتفتح المظالم الجديدة مزيداً من الصلات بين الدولة الإسلامية والسكان.

تواجه الولايات المتحدة مزيداً من التهديدات الخطرة من جماعات القاعدة في سورية، التي تقي نفسها من ضغط مكافحة الإرهاب. تحاول هيئة تحرير الشام وريثة فرع القاعدة في سورية أن تصبح مصدر الحكومة الشرعية في الشمال السوري. ويبلغ تعداد الهيئة نحو 10000 مقاتل في إدلب وتقود جسماً حكومياً تسمِّيه حكومة الإنقاذ حيث تسيطر هذه الحكومة وتنصِّب نفسها شريكة لتركيا. كما تسعى هيئة تحرير الشام الى كسب مزيد من الدعم الدولي لحكومة الإنقاذ بشكل مساعدات إنسانية وبدأت تُلمِح الى رغبتها في تصالح سياسي، وتعكس محاولة هيئة تحرير الشام مرحلة جديدة من نهجها الحذِر في سورية. فقد وضعت هيئة تحرير الشام على رأس أولوياتها كسب الدعم المحلي والشرعية بغية حرمان الولايات المتحدة من فرصة تهييج السكان لمقاومة الجماعة وهزيمتها، مثلما فعلنا بالقاعدة

في العراق ما بين عامي 2007 و2011 ومع الدولة الإسلامية ما بين عامي 2014 و2019.

سيطرة هيئة تحرير الشام على إدلب تزيد من التهديد الإرهابي الذي تواجهه الولايات المتحدة عبر تقديم ملاذات للجماعات المرتبطة بالقاعدة والدولة الإسلامية، مما يمكّن هيئة تحرير الشام والجماعات الأخرى من الترويج لأفكارها والتجنيد في أوساط النازحين المستضعفين في إدلب، وإضفاء الشرعية على أيديولوجيا هيئة تحرير الشام المتشددة، وتمكين هيئة تحرير الشام من الوصول الى مصادر مالية هامة. وتدَّعي هيئة تحرير الشام قطع علاقاتها بالتنظيم العالمي للقاعدة لكنها لم تجدد فِكرها ولم تطرد عناصر القاعدة الذين يخططون لمهاجمة الغرب. والمصادر المالية لهيئة تحرير الشام على وجه الخصوص تشكل خطراً، حيث ادعى مسؤول لدى هيئة تحرير الشام أن التنظيم حصَّل أواخر سنة 2019على مئة وثلاثين مليون دولار كل شهر من الضرائب والنفط والابتزاز والاستيلاء على الأراضي والمبيعات. كما تجمع هيئة تحرير الشام التبرعات من الخارج، وعبر تجارة العملات الالكترونية، وليس واضحاً –حسب المعلومات المُعلَنة– مقدار الأموال التي تبعث بها الهيئة تحرير الشام لجماعات القاعدة في الخارج.

بدأت تظهر جماعات جديدة ذات صلة بالقاعدة في سورية. وأكثرها شهرة تنظيم حراس الدين الذي يضم بين صفوفه ما بين 2000 الى 2500 مقاتل ولا يخفي نياته شن هجمات على الغرب. والحزب الإسلامي التركستاني هو جماعة أخرى ذات صلة بالقاعدة يُقدَّر تعداد أفراده بما بين 3500 و4000 مقاتل في سورية، ويُعرِب عن نياته الصريحة لمهاجمة الصين وروسيا وربما تكون له صلة بهجوم واحد على أقل خارج سورية، وبدأت تظهر جماعات أخرى واضحة الصلة بالقاعدة، وإحداها أعلنت مسؤوليتها عن العديد من الهجمات ضد القوات التركية في إدلب وكذلك القوات الروسية شمال مدينة الرقة. يُثبِت انتشار

الجماعات الجهادية المتواصل في سورية أن الولايات المتحدة ستواصل مواجهة تهديد إرهابي من سورية حتى أمد غير معلوم.

وتسعى إيران لترسيخ وجود طويل الأمد في سورية من خلال الجمع بين البنية العسكرية الدائمة والتواصل الاجتماعي، مما قد يرسِّخ تواجد إيران ونفوذها. لقد أدى توسيع إيران لبنيتها التحتية العسكرية الى تصعيد حملة إسرائيلية جوية ضدها، مما كبَّدها خسائر منعتها من بناء كل ما كانت تنوي بناءه، لكن لا يمكن التصدي لتغلغل إيران الاجتماعي، فإيران ترسِّخ نفوذاً دينياً وثقافياً واقتصادياً على امتداد نهر الفرات في شرقي سورية وتبذل جهداً مماثلاً على امتداد الساحل السوري ومنطقة درعا الجنوبية وتؤسس كيانات موالية لإيران في لبنان مثل المنظمة التنموية التابعة لحزب إيران اللبناني المسماة بالجهاد والبناء لإقامة جسور مع السكان السُّنَّة، كما تجنِّد إيران مقاتلين من القبائل في الميليشيات التي تعمل لصالحها.

تغلغل إيران في مجتمع شرقي سورية يزيد من التهديد الذي تمثِّله على المنطقة وعلى إسرائيل والقوات الأمريكية المنتشرة في شرقي سورية، فهو يدعم تأسيس إيران لممر يصل إيران بسورية وعاصمتها دمشق، مروراً بالعراق، وصولاً الى لبنان كما يمكِّن هذا الممر عملاء إيران من الاستفادة من الممر التجاري في المستقبل الذي يصل سورية بالعراق ويهدد القوات الأمريكية على الضفة الشرقية من نهر الفرات (سنتحدث عن هذا لاحقاً). تجذُّر إيران مَحَلِّيَاً يمكن أن يحيِّد اتفاقاً مستقبلياً ينص على انسحاب القوات الأجنبية من سورية، وبالتالي يُبقي إيران على صلات قوية بالمجتمعات المحلية. استثمار إيران في المناطق ذات الأغلبية السُّنيَّة بما فيها شرقي الفرات سيجلب للمنطقة إثارة القلاقل والنعرات الطائفية، مما يخلق فرصة للتنظيمات السلفية الجهادية مثل الدولة الإسلامية لتبرر هجماتها التي تتخذ شكل حرب عصابات.

قدرة إيران على كسب الشعبية بين هذه المجتمعات يأتي نتيجة للفراغ الاستراتيجي في سورية أكثر منه تقبُّلاً لعقيدة إيران أو دعمها المادي. المنافسة الكبرى التي تواجهها إيران تتمثل بروسيا ووحدات النظام التي تجنِّد هي الأخرى السكان وتكوّن صلات بهم، والعامل الرئيس في هذا هو الفقر الذي سببته الحرب. ويبدأ الخطأ بانسحاب الولايات المتحدة من سورية سنة 2018 و2019 مما قوَّض قسد وأشاع مخاوف قادت بعض المجتمعات للتوجه الى بدائل ومنها إيران، وروسيا والأسد، لكن يبقى أن نرى النفوذ الحقيقي لإيران والأسد عند تعرضهم للمنافسة. يمكن للولايات المتحدة أن تضعضع تماسكهم وتحُدَّ من نفوذهم خفية عبر تأسيس وجود موثوق في شرقي سورية بما يقوّي قسد ويوفِّر فرصاً جديدة للسكان المحليين للوصول الى التنمية والتمتع بالأمن.

تأثير الولايات المتحدة حالياً

حقق النفوذ الحالي للولايات المتحدة تأثيراً غير متناسب على دعم المصالح الأمريكية في سورية. الضغط الأمريكي الاقتصادي يحد من المجهود الحربي للأسد ويورّطه في جهود لتخفيف وتجاوز آثار زعزعة الاستقرار من جرّاء الانهيار الاقتصادي المتنامي لاقتصاده، فقد عرقلت العقوبات الاقتصادية والدبلوماسية التي فرضتها الولايات المتحدة جهود روسيا للحصول على أموال إعادة الإعمار من أوروبا التي قد تُستخدم لمكافأة السماسرة المقربين للنظام وروسيا وإيران أكثر من إعادة بناء الأجزاء التي دمَّروها من سورية. وفي ذات الوقت فانتشار نحو 900 من أفراد القوات الأمريكية الخاصة في الشرق السوري يبسط الحد الأدنى من الاستقرار مما يمنع ظهوراً كبيراً جديداً للدولة الإسلامية ويحرم الأسد وروسيا وإيران من مصادر الطاقة ومناطق أخرى ذات قيمة كبيرة. منعت الضربات الأمريكية بعد

هجومين مؤكدين بالأسلحة الكيميائية في سورية استخدام هذه الأسلحة مجدداً في المستقبل. وهذه النتائج مهمة ومنعت حدوث سيناريوهات أسوأ.

ويجب ألا تبالغ الولايات المتحدة في تقدير ما يمكن أن يحققه هذا الالتزام أكثر مما تحقق، فهزيمة دولة الخلافة أضرَّت بها لكن الجماعة لم تُهزَم ولم ينتهي التهديد الذي تمثِّله للغرب، كما أن جهود الولايات المتحدة حالياً لن تنصبَّ على إنهاء الحرب أو التسبب بتسوية دبلوماسية. تعكس تصريحات المسؤولين الأمريكيين التي تربط بين العقوبات الأمريكية وجهود بسط الاستقرار وفق العملية الدبلوماسية التي تتولاها الأمم المتحدة توجُّهاً إيجابياً نحو تسوية طويلة المدى للحرب لكنها تأتي بنتائج عكسية على المدى القصير. فالظروف ليست مواتية أبداً لتنفيذ قرار الأمم المتحدة رقم 2254، لكن تركيز الولايات المتحدة عليه سمح للأسد وروسيا إفساد ونزع المصداقية عنه كحل قابل للتنفيذ، مما صرف أنظار السوريين الى وجهة أخرى. يجب على الولايات المتحدة أن تتمسك بهدف تمكين تسوية سياسية للحرب، لكن يتحتَّم عليها إعادة المصداقية للعملية الدبلوماسية. لقد ثبت أن عواقب المصادقة على الامتيازات التي نالها الأسد وروسيا في سبيل مكاسبَ قصيرةِ الأجلِ غيرِ قابلةٍ للتحقيقِ أكبرُ من منافعها. هذا هو الوقت المناسب للولايات المتحدة كي تعيد التقييم.

وعلى الرغم من نجاحها فموقع الولايات المتحدة في شرقي سورية غير مقبول على المدى الطويل على المستويات الحالية للقوة، فقد واجهت الولايات المتحدة مخاطر كبيرة في شرق سورية وكان من الممكن أن تهزم القوات الأمريكية لو لم تتلقِ مزيداً من الدعم. تواجد القوات الأمريكية على نطاق ضيّق يحرمها من التوسُّط بين القبائل العربية المشتتة وقسد أو إعادة دمج النازحين بين السكان المحليين. حيث تفتقر القوات الأمريكية الى الموارد والخبراء للمساعدة على بسط الاستقرار الذي تحتاجه قسد بشدَّة، بما في ذلك إعادة الخدمات الأساسية والحكومة، كما أن سيطرة قسد على شرقي سورية هشة بسبب وقوعها بين مطرقة

حرب العصابات التي تشنها الدولة الإسلامية وسندان القوات التركية التي تنئ بنفسها عن قتال الدولة الإسلامية. تلعب إذاً القوات الأمريكية دوراً في كبح جماح هجوم تركي جديد لكنها لا تستطيع بمستوى القوات الحالي أن تجسر الهوة بين الإمكانات المطلوبة وتلك المتوفرة لحماية المنطقة.

قد تجبر الهجمات المتزايدة لفئات مؤيدة للأسد الولايات المتحدة على انسحاب ليس محل إجماع في الإدارة الأمريكية من سورية.

الأسد وروسيا وإيران جميعهم يستعدُّون للتصعيد وأخذوا بتوسيع مدى التجنيد بين السكان المحليين في الشرق السوري بما في ذلك المناطق الواقعة تحت سيطرة قسد. وأكبر المخاطر على المدى القصير هو احتمال تصعيد إيراني رداً على ضغط أمريكي في مكان آخر. وكانت الاستخبارات التابعة لوزارة الدفاع قد أعدَّت تقريراً لجنرال مفتِّش في وزارة الدفاع في شهر كانون الأول سنة 2020 يفيد بأن "إيران حاولت تجنيد بعض السوريين لجمع معلومات استخباراتية حول الولايات المتحدة وقوات التحالف في سورية وحاولت التأثير على هؤلاء الأشخاص لجعلهم ينفِّذون هجمات بالنيابة عنها" بما في ذلك "رداً على ما يعتقدونه دعماً لضربات على أهداف تابعة للجماعات التابعة لإيران" وللضغط عليها لسحب قواتها من سورية.

الفخاخ الاستراتيجية في سورية

تنتظر إدارة بايدن فخاخ استراتيجية عديدة في سورية وهي تضع سياستها في سورية:

فخ: قبول الأسد. خيار قبول الأسد في مقابل الاستقرار في سورية خيار خاطئ. والعواقب المحتملة هي أن هذا القرار بمثابة حكم باعتقال مزيد من السوريين وتعذيبهم وإعدامهم

وإذكاء حملة الأسد للانتقام من الشعب الذي ثار عليه، وجعل أزمة اللاجئين مشكلة دائمة، وإذكاء موجة تجنيد جديدة للجماعات الجهادية، وتقوية روسيا عالمياً، والسماح لإيران بترسيخ أقدامها اجتماعياً وفيما يتعلق بالبنية التحتية العسكرية على المدى الطويل مما قد يؤدي الى تصعيد إقليمي كبير مع إسرائيل.

تعمل روسيا على إيقاع الولايات المتحدة في هذا الفخ. ولممارسة الضغط للتطبيع مع النظام تضغط روسيا على حلفاء الولايات المتحدة في الخليج العربي لإعادة بدء علاقات دبلوماسية مع نظام الأسد، وإعادته الى الجامعة العربية، والاستثمار في إعادة بناء مشروعات ستعود على النظام بمكاسب مستقرة تزيد من قوته. كما تحاول روسيا تحصيل مزيد من الدعم لقبول الأسد في الغرب عبر الترويج لروايات مُضلِلَة داعمة لروايات عن الأحداث من وجهة نظر النظام.

روايات خاطئة لروسيا في سورية

- الحرب انتهت ورفض الأسد يطيل الحرب بلا طائل.
- الأسد يحمي الأقليات في سورية.
- العقوبات الأمريكية غير إنسانية وغير قانونية.
- أجهزة الاستخبارات الغربية تختلق تقارير عن جرائم حرب في سورية.
- يمكن لروسيا المساعدة على عودة اللاجئين الى سورية عبر تقديم المساعدة المالية.

فخ: دعم استقلال الأكراد السوريين. جهود الولايات المتحدة لدعم تحويل المناطق التي تسيطر عليها قسد الى دولة مستقلة ستكون خطرة. أي خطوة كبيرة لإضفاء الشرعية الدولية على حكم قسد (الإدارة الذاتية لشمال سورية) ستستدعي غزواً تركياً جديداً مما قد يؤدي الى زعزعة استقرار شمال سورية ويعرقل إن لم ينهِ جهود مكافحة

الدولة الإسلامية، وقد يتسع التصعيد ليشمل عمليات للبي كي كي داخل تركيا أو/وشمال العراق. وحتى لو تم تجنب التصعيد التركي فالاعتراف بدولة يحكمها الأكراد منافٍ تماماً للمصالح الأمريكية، فهذا يمكن قد يقلِّص احتمالات التسوية الدبلوماسية للحرب وقد يؤدي الى تصعيد عسكري تشنه فئات أخرى بما في ذلك نظام الأسد، وربما يكون ذلك بمساندة من روسيا.

فخ: ترك الأكراد السوريين لتركيا. لا يجب على الولايات المتحدة الانسحاب من شرقي سورية والسماح لتركيا بتدمير قسد. فلا يمكن لتركيا الاستيلاء على كامل شرقي سورية وتأمينه، مما سيترك فراغاً كبيراً يمكن لتنظيم الدولة الإسلامية أن يستغله لإعادة بناء نفسه. كما أن التخلي عن قسد يزيد من مخاطر توسع الحرب بين البي كي كي وتركيا، فعناصر البي كي كي مُحتوون في مشروع قسد السياسي الناجح العابر للأعراق، ويمكن أن يؤدي فشل هذا المشروع الى إعادة تجميع عناصر البي كي كي لشن حرب عصابات واسعة ضد تركيا.

وظهرت بالفعل في عفرين شارات لمثل هذا وغيرها من المناطق التي انتزعتها تركيا من قسد، حيث تعلن جماعات المقاومة الكردية مسؤوليتها عن هجمات ضد القوات التركية ووكلائها. ولربما تستغل إيران وروسيا انسحاب الولايات المتحدة لكسب مواقع استراتيجية تصل من خلالها الى الموارد الطبيعية في شرقي سورية.

فخ: التطبيع مع فروع القاعدة. يتحتم على الولايات المتحدة رفض التطبيع مع الجماعات السلفية الجهادية كعناصر مقبولة أو كأمر واقع. قائد هيئة تحرير الشام أبو محمد الجولاني يقوم بخطوات جديدة لكسب القبول الدولي، وشطب هيئة تحرير الشام من قائمة الإرهاب الأمريكية، ويشن الجولاني حملة إعلامية لتحسين صورة هيئة تحرير الشام، ويرحّب بوصول صحافيين غربيين الى منطقة إدلب ويجري

العديد من المقابلات مع وكالة بي بي إس نيوز ومراكز الدراسات الاستراتيجية التي تكتب للجمهور الغربي. وبدأ البعض يقول بأن على الولايات المتحدة أن تعمل مع هيئة تحرير الشام على أسس إنسانية.

يجب على الولايات المتحدة الاستعداد لمواجهة روايات الجولاني المضللة والضغط المحتمل لشطب هيئة تحرير الشام من المنظمات الإنسانية والتركية. وغيرها. الوضع الإنساني في منطقة إدلب مزرٍ لكن يجب على الولايات المتحدة ألا تسمح لهيئة تحرير الشام باستغلال الوضع للحصول على اعتراف قد يطلق يدها للوصول الى الأموال والموارد.

فخ: تخيير روسيا بين أن تلعب دوراً بنّاءً أو أن تفشل في سورية. تشمل الرؤى لهذا الفخ تعديد مصادر الإرهاب لروسيا، وتخيير روسيا ما بين لجم إيران أو إجراء تسوية سياسية تنهي الحرب، وتَوَقُّع أن تتحول سورية الى مستنقع يُضعِف روسيا.

فخ: لا يمكن لروسيا الوصول الى نتائج مقبولة لمكافحة الإرهاب. حاولت وادّعت روسيا أن عملياتها في سورية تتركز على مكافحة الإرهاب بالدرجة الأولى منذ تدخلها سنة 2015. ولم تولِ روسيا العمليات ضد الدولة الإسلامية أو القاعدة الأولوية ولم تفعل الكثير ضد هاتين الجماعتين. تواجه روسيا تهديداً كبيراً من الدولة الإسلامية وسط سورية مما يوهن قدرتها على إبرام عقود لتشغيل البنية التحتية للطاقة في سورية. وتخصص روسيا مزيداً من الموارد لهذه المُتَطَلَّبات الأمنية. وليس لدى روسيا النية ولا المقدرة على هزيمة حرب العصابات الواسعة التي تشنها الدولة الإسلامية، والهجمات التي دعمتها روسيا على منطقة إدلب سرَّعَت من تولي هيئة تحرير الشام مسؤولية المنطقة وفي ذات الوقت تزايدت الجماعات المرتبطة بالقاعدة. لا يمكن للمجهود الروسي الضئيل لمواجهة الدولة الإسلامية والقاعدة

وفروعها تحقيق الكثير من الإنجازات مما يجعل الكلفة الاستراتيجية للاعتماد على روسيا أكبر بكثير من الإنجازات التي يمكن تحقيقها، بما في ذلك التكتيكات الروسية التي تؤدي لمزيد من التطرف والخطأ الاستراتيجي بترك روسيا تسرح وتمرح على الحدود الجنوبية للناتو والبحر الأسود.

لن تُلجِم روسيا إيران. سعت روسيا كذلك الى إضفاء الشرعية الى وجودها في سورية عبر إقناع إسرائيل والغرب بأن بوسع روسيا لجم إيران في سورية، أحياناً تتنافس إيران وروسيا في سورية على المستوى التكتيكي، بما في ذلك على التجنيد والأصول الاقتصادية، لكن هذه المماحكات لا تتوسع لتصل الى المستوى الاستراتيجي. حيث تفتقر روسيا الى القدرة –ويشمل هذا قوات على الأرض في سورية– لإجبار إيران على الخروج. على سبيل المثال: الاتفاقية التي دعمتها روسيا بين الولايات المتحدة والأردن سنة 2016 والتي نصَّت على السماح باستعادة نظام الأسد جنوبي سورية، نصَّت كذلك على ضمانات بألا توسِّع إيران موطئ قدمها في المنطقة، وفشلت روسيا فشلاً ذريعاً بتنفيذ ما تعهدت به.

لا يمكن لروسيا إبرام تسوية دبلوماسية تُنهي الحرب. ليس لدى روسيا مقدرة كبيرة للوصول الى نتائج سياسية في سورية أكثر مما تتوقعها الولايات المتحدة. فالتوقعات السياسية من الضغط الروسي على نظام الأسد لإجباره على تقديم تنازلات تتجاهل الطريقة التي ترى فيها روسيا سورية: فهي تراها خط مواجهة لما تراه جهوداً غربية لإجراء تغيير في النظام، وأي اتفاقية لتنحية الأسد عن السلطة أو أي تغييرات أخرى ملموسة في سلوك النظام تتعارض تماماً مع غايات روسيا. كما أن مثل هذه المقاربات السياسية تقوم على افتراض أن النظام ضعيف بما يكفي ليخضع للضغط الروسي، وفي الحقيقية فإن عجز الأسد عن فرض الأمن لا يعني أن النظام نفسه

هش، فطبقة السلطة التي تشكِّل النظام السوري مرنة للغاية وليس ثمة شارات الى مستوى معين من الاحتكاك الداخلي يمكن أن يعصف باستقرار النظام. ولا يجب على الولايات المتحدة أن تتوقع من روسيا وإيران تسوية سياسية مقبولة ولا يجب أيضاً أن تمنح روسيا تنازلات في سورية على أمل إقناع روسيا بالمحاولة.

سورية ليست مستنقعاً سيُضعِف روسيا. لا يجب على الولايات المتحدة أيضاً تحمُّل التوسع العسكري الروسي في سورية وانطلاقاً من سورية، اعتقاداً منها أن هذه المواقع ليست مهمة لروسيا على المدى الطويل. الحرب السورية ليست نظيرةً لتجربة روسيا في أفغانستان في الثمانينيات، حيث ترى روسيا حملتها على سورية على أنها نجاح رئيسي ونموذج للعمليات العسكرية المستقبلية. ولا يجب على الولايات المتحدة أن تتوقع أن الوقت في صالحها في سورية أو أن العمليات العسكرية في سورية قد تهدر مواردها الى درجة مؤثِّرة. بل يجب على الولايات المتحدة مواجهة التهديد الاستراتيجي الذي تشكِّله العمليات العسكرية الروسية التي تنطلق من سورية بنفس الجديّة التي تتعامل فيها الولايات المتحدة مع تأثير العمليات العسكرية الروسية في أوروبا.

ماذا يجب أن نفعل

المبالغة في تقدير ما يمكن تحقيقه في سورية سيؤدي على الأغلب الى فشل استراتيجي تماماً مثل الانسحاب الكامل. وليس ثمة حلول سريعة. بل يجب على الولايات المتحدة التوجُّه لتنفيذ أهداف متواضعة بناءً على النجاحات التي تحققت حتى الآن والعمل على تحقيق المصالح طويلة الأجل، بما في ذلك التسوية الدبلوماسية، القابلة للتنفيذ بمرور

الوقت. المراحل المتعددة ستكون ضرورية، والمكاسب المرحلية التي يجب على الولايات المتحدة العمل على تحقيقها في غضون السنوات الخمس المقبلة هي:

1- كبح جماح روسيا وإيران والأسد في شرقي سورية عبر تمكين قسد من العمل الفعّال في التجنيد والتوظيف في القطاع الخاص.
2- حرمان الأسد من تطبيع العلاقات ومن المكاسب الاقتصادية.
3- مساعدة قسد على إقامة حكومة تتسم بالمرونة وذات أجهزة أمنية فعّالة في شرقي سورية.
4- إعادة الوفاق الى العلاقات مع تركيا عبر دعمها في إدلب والضغط على قسد للإصلاح.
5- التخفيف من الأزمة الاقتصادية في إدلب والمناطق التي تسيطر عليها قسد، بما في ذلك مخيم الهول.
6- منع الدولة الإسلامية من إعادة بناء نفسها ومنع هجمات الدولة و/أو القاعدة على الغرب.

وكبداية يجب على الولايات المتحدة اتخاذ الخطوات الآتية لتقوية موقفها الاستراتيجي، وإعادة تموضع الولايات المتحدة لتخفيف أسوأ السيناريوهات وزيادة المرونة داخلياً. هذه النقاط لن تنجز وحدها كافة الأهداف المذكورة أعلاه لكنها ستخلق الظروف الملائمة لتخفف من السيناريوهات الأسوأ وتمكِّن الولايات المتحدة من اتخاذ إجراءات تنفيذ هذه الأهداف.

تعزيز النجاحات

- تقييم متطلبات القوة لبسط الاستقرار شرقي سورية، التصدي لحرب العصابات التي تشنها الدولة الإسلامية في المناطق التي تسيطر قسد عليها، ومساعدة قسد في ردع هجمات روسيا والأسد وإيران وتركيا ووكلائهم.
- الالتزام بمتابعة إيصال المساعدات عبر الحدود حتى لو استخدمت روسيا الفيتو ضد إيصال المساعدات عبر الأمم المتحدة، والعمل لإبرام اتفاق مع الاتحاد الأوروبي وتركيا لجهد مشترك فيما يتعلق بالمساعدات الإنسانية.

كبح جماح أعداء الولايات المتحدة

- التمسك بالعقوبات والحفاظ على موقف حازم ضد التطبيع السياسي أو دعم مالي جديد لنظام الأسد، بما في ذلك من صندوق النقد الدولي، وتطبيق عقوبات إضافية إذا دعا الأمر بما في ذلك عقوبات ثانوية ضد هؤلاء الذين ما زالوا يستثمرون في سورية.
- تسليم دراسة للكونجرس حول جرائم الحرب الروسية في سورية وأوكرانيا وغيرها من الأماكن إذا دعا الأمر لمواجهة التضليل الروسي وتعزيز القوانين والأعراف الدولية للتصدي لمثل هذه التكتيكات.
- الالتزام بدعم تركيا دبلوماسياً واقتصادياً في إدلب في حال حدوث هجوم تدعمه روسيا بغية تقوية التعاون وفي ذات الوقت منع تصعيد خطير في الشمال السوري. وبدء محادثات مع تركيا لتحديد الدعم العسكري المطلوب.
- مواصلة الضربات المنتقاة بعناية ضد قادة القاعدة والخلايا الهجومية. ونشر أكبر قدر من الأدلة فيما يتعلق بهيئة تحرير الشام ودورها التاريخي في الإرهاب الدولي

بما في ذلك العناصر الرئيسية التي لا تعمل في التخطيط للهجمات: تجنيد المقاتلين الأجانب، اللوجستيات العابرة للدول، والتمويل الدولي.

الإعداد للمستقبل

- إطلاق مبادرة دبلوماسية جديدة لبدء حوار سوري داخلي من خلال مؤتمرات ومبادرات المسار البديل لشمول أكبر شريحة ممكنة من المجتمع السوري.
- تقييم الحاجات المالية لتسريع بسط الاستقرار في الشرق السوري وتحديد المناطق ذات الأولوية، والتي يجب أن يكون مخيم الهول أحدها. وعندما تسمح الظروف الأمنية أعادة العاملين في البرامج المدنية والدبلوماسيين الى المنطقة لإطلاق برامج جديدة لبسط الاستقرار بناءً على مراجعة شاملة.
- حث قسد على إصلاح نموذجها الحكومي بحيث يقدِّم تمثيلاً أكبر للسكان العرب وآليات محاسبة تزيد من ثقة المدنيين.

يجب على صناع القرار الأمريكيين استخدام القوة للتأثير على تبعات الصراع السوري. فسورية هي فريسة فوضى عارمة وستواصل تصدير زعزعة الاستقرار، وفي نفس الوقت يستخدمها خصوم الولايات المتحدة لتطوير جيوشهم. لكن السياسة الاستباقية الأمريكية التي تركِّز على أهداف قابلة للتنفيذ على المدى القصير تعزز النجاحات التي تحققت بشق الأنفس ويمكن أن تشكِّل فرقاً جوهرياً عندما تترافق بضغط متواصل على الفئات المسؤولة عن أسوأ عنف يضرب سورية: الأسد وروسيا وإيران.

لقد حاولت الولايات المتحدة لعقد من الزمن النأي بالنفس وجاءت النتائج غير مُرضِيَة، وبالتالي فقد حان الوقت للالتزام بعِقدٍ من الانخراط في هذه الأزمة.